Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى حاجة إلى أن نتبين سبب هذا الاهتمام وهذه العناية وإصرار النظام الشعرى فى الشعر العربى – شعر البيت – على هذا الوضوح والتركيز .

وليست هناك إجابة جاهزة أو أسباب معدة سلفًا لبيان هذا الدور الملحوظ ولكن هناك – بالطبع – محاولة ذلك والتأتى إليه . إنّ الكلمة التى تشغل القافية ليست بالضرورة نهاية للجملة ، فقد تكون نهاية للجملة ، وقد لا تكون نهاية لها ، ولكنها موقوف عليها « والقوافى كلها موقوف عليها وإن لم يتم الكلام دون ما يليها من الأبيات » [١] فهى على كل حال نهاية بيت ، ومهمتها الإيقاعية واضحة بالنسبة للبيت . وهى فى الوقت نفسه كلمة فى الجملة تشغل فيها وظيفة نحوية ما ، ولا يصح بحال أن يهمل دورها فى الجملة بناء على الوظيفة الشعرية التى تؤديها للبيت ، أى أن الوظيفة الشعرية لا تؤدّى على حساب الوظيفة الدلالية للجملة . صحيح أن الوظيفة النحوية قد تكون محكومة باختيار حركة الروى الخاص بالقصيدة بمعنى أن الروى المرفوع مثلا يستدعى كلماتٍ تشغل وظيفةً نحوية تقتضى الرفع ، أو تقتضى ضمّ الحرف الأخير لسبب آخر ، وصحيح أن تردد الحرف الأخير فى الكلمة وتكراره يحسبان أيضا اختيار هذه الكلمة على المستوى المعجمىّ ، ولكن كل هذه الاختيارات ليست إلا من عمل الشاعر نفسه الذى يخفى صنعته بطبيعة الحال ، ولا يبقى أمامنا إلا هذا النسيج المتلاحم صوتيا وصرفيا ونحويا ومعجميا ودلاليا ، ويصبغ السياق الخاص كل هذه الجوانب بصبغة شعرية خاصة يجعلها تتآلف مع الوزن الخاص . لقد أتاح النظام الشعرى للكلمة الأخيرة أن تعامل بطريقة مخصوصة بقصد إقامة البنية الشعرية لكن مع كل هذا تظل المعالجة النحوية الدلالية مطلبًا ضروريا .

إن عبد القاهر الجرجانى مثلا أغفل دور الوزن والقافية إغفالا متعمدا فى صدد حديثه عن النظم ، وهو جانب من جوانب التفاعل الضرورية فى اختيار وجه من وجوه النظم ، فالصورة الصوتية المنطوقة تحكمها فى العمق أبنية أخرى

---

(١) شرح الشافية : ٣١٩/٢ .